مبدأ الشورى في سيرة الرسول سيدنا محمد ﷺ

تاريخ استلام المقال: 2015/01/08 تاريخ قبول المقال للنشر 2016/01/07

الدكتور. إدريس بن خويا
جامعة أحمد دراية أدرار

ملخص:

نحاول من خلال بحثنا إبراز أهمية الشورى في حياة الرسول ﷺ، باعتبار أننا نقف عند الجانب القولي والعملي للأخذ بالشورى وفائدتها في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، وأن المتتبع في بحثنا سيجد أنه عمل بها مع أصحابه حتى في وقت الشدة، والقصد بذلك في وقت الحروب عند الغزوات، وأمثلة ذلك كثيرة في بحثنا. ولأهمية الشورى حتى في حياتنا اليومية أردت أن أقف عند شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم باعتباره المربي وقدوتنا وأسوتنا في هذه الحياة.

Résumé:

Dans notre article, nous tentons de voir l'importance de la Shura dans la vie de notre prohète Mohamed, (paix soit sur lui). le lecteur de cette recherche saura que notre prophète, durant les guerres qu'il a menées, a mis en pratique la Shura avec ses compagnons et ce dans plusieurs situations.

Vu l'importance de la shura dans notre vie quotidienne, je me suis arrêté devant la personnalité de notre prophète , ce grand éducateur et notre modèle à suivre dans notre vie.

المقدمة:

الحمد لله، نحمده سبحانه وتعالى حمدا جليلا يليق بجلالته وعظمته، لا نُحصي ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه، له الملك في الأولى والآخرة وهو على كل شيء قدير.

ونُصلي ونُسلم على سيدنا محمد الرحمة المهداة؛ صلاة وسلاما دائمين متلازمين إلى يوم الدين.

وبعد؛

فإن المجتمعات الإسلامية التي تبحث عن الرقي والتقدم في مختلف القضايا، فهي تحتاج إلى مشورة أولي الأمر وممن تتوفر فيهم الحكمة والنصيحة، والخير للبلاد لأجل تقديم الأفضل والأحسن والنافع للأجيال المتعاقبة، وما ينفعها من مشاريع مستقبلية تخدمهم وتخدم مجتمعهم.

إن تلك المشورة هي من الأمور المساهمة في القضاء على الاستبداد والتفرد بالرأي، وأنها لكافة المسلمين، ولكل فرد من أفرادهم، وهو ما يُقرّه ديننا الحنيف في ضرورة إبداء الرأي وبذل النصيحة وتقديم المشورة، بل إن الدين منطلقه النصيحة كما يتجلى ذلك في قول خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم: ((الدين النصيحة)) [1]، ولقد أحسن القائل بقوله:

شاور صديقك في الخفي المشكل * واقبل نصيحة ناصح متفضل[2].

ومن خلال ذلك، حاولت الوقوف أفضل نموذج يمكننا أن نقتدي به حياتنا اليومية، ويتمثل في بسط الحديث حول الجانب القولي والعملي المتعلق بمبدأ الشورى في سيرة الرسول ﷺ، وهو ما يتبدى لنا واضحا وبارزا من خلال تعامله بالشورى في مسلكه مع الصحابة رضوان الله عليهم جميعا، أو في الغزوات المختلفة التي خاضها ومعه المسلمون، وكذا امتداد العمل بالشورى في أعصر الخلفاء الراشدين باعتبارهم ولاّة الأمور في زمنهم.

ولأهمية مبدأ الشورى عند الرسول صلى الله عليه وسلم، فلقد ركّزتُ في بحثي على عدة قضايا أهمها: مفهوم الشورى لغة واصطلاحا، ومدى ثبوت النص القرآني والسُّني عليها، مع الوقوف على دلالات الأحاديث النبوية الشريفة التي تتضمنها السنة القولية للرسول ﷺ بخصوص هذا الجانب؛ وذلك في مثل قول الرسول ﷺ: ((ثم إن لي وزيرين من أهل السماء، ووزيرين من أهل الأرض، فأما وزيراي من أهل السماء فجبريل وميكائيل، وأما وزيراي من أهل الأرض فأبو بكر وعمر)) [3]، وقوله أيضا لأبي بكر وعمر: ((ثم لو اجتمعتما في مشورة ما خالفتكما)) [4] ؛ أي أنه يأخذ برأيهما حتى لو خالفهما فيه جمهور الصحابة. وقوله أيضا: ((ما تشاور قوم قط إلاّ هدوا لأرشد أمرهم))[5]، وقوله: ((الْمُسْتَشَارَ مُؤْتَمَنٌ))[6]. وذلك باعتبار أن الرسول ﷺ لم يقطع في مسألة من المسائل التي تتصل بالناحية السياسية وبنظام الحكم، ولم يُدل فيها برأي يلزم المسلمين بعد وفاته، وتلك هي مسألة اختيار من يتولى أمر المسلين من بعده، وعلى أي أساس

---

[1] – صحيح البخاري، أبو عبد الله البخاري، 30/1، تحقيق د.محمد ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط3، 1407هـ–1987م.

2 – الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 250/4، تحقيق : أحمد عبد العليم البردوني، دار الشعب، القاهرة، ط2، 1372هـ.

[3] – المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله النيسابوري، 290/2، رقم الحديث3047، تحقيق: مصطفى عبد القار عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411هـ–1990م.

[4] – مسند أحمد، أحمد بن حنبل، 227/4، مؤسسة قرطبة، مصر.

[5] – التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، 445/4، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ.

6 – سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، 27/10، رقم الحديث 2747، باب إن المستشار مؤتمن، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

يتم ذلك الاختيار. فلم يُؤثر عنه عليه الصلاة والسلام نص صريح في بعض المسائل التي تُعد من المسائل التفصيلية التي يترك للأمة أن تعالجها وفقا لمصلحتها[1]. وكل ذلك حاولت الإجابة عنه متبعاً المنهج الوصفي التحليلي، ابتداء بمقدمة، ثم عرض فخاتمة تضمنت أهم النتائج المتوصل إليها، وبعدها ذيّلت البحث بقائمة لمصادر ومراجع اعتمدتها في البحث مرتبة ترتيبا علميا أكاديميا.

إشكالية البحث:

وأما إشكالية البحث فتتمثل في إبراز أهمية الشورى في حياتنا اليومية؟ وفيما تتمثل في سيرة الرسول ﷺ ؟ وما أبعاد الشورى قولا وفعلا في سيرة الحبيب المصطفى ﷺ؟ وهل مارس الحبيب المصطفى ﷺ الشورى مح أصحابه وأهل بيته؟

محاور البحث:

سنحاول في إجابتنا عن إشكالية البحث من خلال تعريجنا على عدة قضايا، منها:

- مفهوم الشورى لغة واصطلاحا، وكذا القرآن الكريم.
- الشورى عند الرسول ﷺ قولا وفعلا.

أ- مبدأ الشورى عند الرسول ﷺ من خلال أقواله.

ب-مبدأ الشورى عند الرسول ﷺ من خلال أفعاله.

ب-1-مبدأ الشورى الفعلي من خلال الغزوات والحروب.

ب-2- مبدأ الشورى الفعلي في أمور خاصة ببيته.

- خاتمة

1- مفهوم الشورى:

إن المتتبع لمفهوم الشورى في المعجم العربي من حيث اللغة يجده لا يخرج عن معنى المتشاور الذي يتم بين أفراد ضمن مجتمع معين، حول أمر ما.

ومن ذلك يقول ابن منظور: " وأَشار إليه وشَوَّر أَومَأَ يكون ذلك بالكفِّ والعين والحاجب...وأَشار عليه بأَمْرٍ كذا أَمَرَه به وهيَ الشُّورَى، والمَشُورَة -بضم الشين- مَفْعُلَة ولا تكون مَفْعُولَة؛ لأَنها مصدر، والمَصادِر لا تَجِيء على مثال -مَفْعُولة، وإِن جاءت على مِثال- مَفْعُول، وكذلك المَشْوَرَة، وتقول منه: شَاوَرْتُه في الأَمر واسْتشرته بمعنى. وفلان خَيِّرٌ شَيِّرٌ؛ أَي يصلُح لِلْمُشاورَة، وشاوَرَه مُشاوَرَة وشِوَاراً واسْتَشارة: طَلَب منه المَشُورَة، وأَشار الرجل يُشِيرُ إِشارَةً إِذا أَوْمَأَ بيديْه، ويقال: شَوَّرْت إِليه بِيَدِي وأَشرت إِليه؛ أَي لَوَّحْت إِليه وأَلَحْتُ أَيضاً، وأَشارَ إِليه باليَدِ أَوْمأَ،

[1] - ينظر النظم السياسية الإسلامية، د.حسن ابرهيم حسن ود.علي ابراهيم حسن، ص17، ط4، 1970.

وأَشارَ عليه بالرَّأْيِ وأَشار يُشِير إذا ما وَجَّه الرَّأْي. ويقال: فلان جيِّد المَشُورة، والمَشْوَرَة لغتان قال الفراء: المَشُورة أَصلها مَشْوَرَة، ثم نقلت إلى مَشُورة لخفَّتها"[1].

ويقول الراغب الأصفهاني: " وشورت به فعلت به ما خجلته كأنك أظهرت شوره أي فرجه، وشرت العسل وأشرته أخرجته، قال الشاعر:* وحديث مثل ماذى مشار * . وشرت الدابة: استخرجت عدوه تشبيها بذلك، وقيل للخطب مشوار كثير العثار، والتشاور والمشاورة والمشورة استخراج الرأى بمراجعة البعض إلى البعض من قولهم: شرت العسل إذا اتخذته من موضعه واستخرجته منه...والشورى الأمر الذي يتشاور فيه،"[2].

وبالتالي، فإنه من خلال تلك التعريفات اللغوية السابقة للشورى نجدها تشترك في معنى المشورة، واستخراج أو إظهار الرأي وتقليبه.

وأما من حيث المفهوم الاصطلاحي فأننا نجد لفظة الشورى لا تخرج دلالتها عن المفاهيم اللغوية السابقة الذكر، فنجد أن "الشورى تعني تقليب الآراء المختلفة ووجهات النظر المطروحة في قضية من القضايا، واختبارها من أصحاب العقول والأفهام حتى يتوصل إلى الصواب منها، أو إلى أصوبها وأحسنها ليعمل به لكي تتحقق أحسن النتائج"[3]. وهي نتيجة "تبادل الآراء في أمر من الأمور لمعرفة أصوبها وأصلحها لأجل اعتماده والعمل به"[4]، وهي "تبادل الرأي بين المتشاورين من أجل استخلاص الصواب من الرأي، والأنجع من الحلول، والسديد من القرارات"[5].

ويمكننا أن نستدل إلى رأي جامع باعتبار أن لفظ شورى مدلول إسلامي أصيل بلغة عربية مبيّنة، وهو مفرد يدل دلالة استشارية، ودعوة صادقة صريحة لتداول الرأي، والاستفادة من كل آراء الأمة لأجل الوصول إلى حالة يرتقي فيها الموقف أخلاقيا ليتقي مع غاية الإسلام، ويعمم الشعور بالمسؤولية[6]، وبالتالي فإن الشورى استطلاع رأي الأمة أو ما ينوب عنها في أمر

---

[1] – *لسان العرب، ابن منظور، مادة (شور)، 434/4، دار صادر، بيروت، ط1.*

[2] – مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، مادة (شور)، ص560، دار القلم، دمشق.

[3] – إشكالية العلاقة بين الشورى والديمقراطية في الفكر الإسلامي المعاصر –دراسة مفاهيمية، د.خالد محمد صافي ود.أيمن طلال يوسف، ص103، مجلة جامعة الأقصى، سلسلة العلوم الإنسانية، المجلد الثالث عشر، العدد الأول، يناير 2009، والنظام السياسي في الإسلام, د.محمد عبد القادر أبو فارس، ص79، طبعة دار الفرقان، عمان، الأردن، 1986.

[4] – مناهج الشريعة الإسلامية، الشيخ أحمد محيي الدين العجوز،128/2، مكتبة المعارف – بيروت 1401هـ 1981م.

[5] – الشورى في الشريعة الإسلامية–دراسة مقارنة بالديمقراطية والنظم القانونية، ص29، القاضي الحسين بن محمد المهدي، دار الثقافة، 2006.

[6] – *ينظر مفهوم الشورى في الإسلام، محمد خالد عمر، ص172، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق ، العدد 108، السنة السابعة والعشرون، ذو الحجة 1428هـ ،كانون الأول 2008م.*

من الأمور العامة المتعلقة بهدف التوصل إلى الرأي الأقرب إلى الصواب الموافق لأحكام الشرع، تمهيداً لاتخاذ القرار المناسب في موضوعه[1]. وأن تلك التعاريف تقف بنا حول مدلول الشورى عامة.

وأما مفهوم الشورى في القرآن الكريم فلقد ورد صريحا في آيات مختلفة، وأن الدلالات الناتجة عن هذا اللفظ لم تخرج دلالته عن تلك المفاهيم السابقة التي تضمنها لفظ الشورى؛ ففي سورة آل عمران يقول المولى ﷻ : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الاَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [2]؛ وذلك أنه تبارك وتعالى أمر رسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم – على الرغم من عصمته– من أن يشاور قومه في الأمر، والهدف من كل ذلك الوصول إلى نتائج هامة في حياة المسلمين لمّا يكون مبدأ الشورى موظفا في واقعهم، ومن هاته النتائج المرجوة من النص القرآني السابق الذي نزل بعد غزوة أحد نجد مضمونها مشارا إليه عند كلٍّ من القرطبي والطبري في تفسيرها، ومن النتائج[3]:

– أنه أمر بمشاورتهم في الحروب ليستقر لهم الرأي الصحيح.

– أنه أمر بمشورتهم تألفاً لهم، وتطييباً لأنفسهم نتيجة المشاورة.

– أنه أمر بمشورتهم لما علم فيها من الفضل.

– أنه أمر بمشورتهم ليستن به المسلمون، ويتبعه المؤمنون، وإن كان على مشورتهم غنياً منهم.

– تعويد المسلمين على هذا النهج في معالجة الأمور؛ لأن في الرسول صلى الله عليه وسلم الأسوة الحسنة، فإذا كانت الآية في صورة الأمر للرسول صلى الله عليه وسلم لأجل الأخذ بها، فهُم من باب أولى أن يأخذوا بها.

ويُعلق الرازي على هذا النص بعدة مسائل، منها: " قال الحسن وسفيان بن عيينة إنما أمر بذلك ليقتدي به غيره في المشاورة ويصير سنة في أمته"[4]؛ باعتبار أن الآية نزلت بعد غزوة أحد، ومع أنه ما وقع في ذلك اليوم قد أبان أن الرأي من أشار على الرسول صلى الله عليه

---

[1] – *ينظر المرجع نفسه، ص172–175.*

[2] – *سورة آل عمران، الآية 159.*

[3] – *ينظر الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 250/4–251، وجامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، 343/7، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، السعودية، ط1، 1420هـ–2000م.*

[4] – *التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، 445/4.*

وسلم بالخروج لم يكن صواباً، فإن الله سبحانه وتعالى قد أنزل الأمر بالعفو عنهم ومشاورتهم أيضا؛ أي أن الأمر هو أمر بالاستمرار في مشاورتهم، على الرغم مما ظهر من خطأ رأيهم، وهذا ما يؤكد على أهمية الشورى ويبين مقدار عناية الدين بها[1].

وأما الموضوع الثاني الذي حمل لفظ الشورى هو ما حملته السورة نفسها في اسمها، ألا وهي "سورة الشورى" ليدل مرة أخرى دلالة قطعية بأهمية العمل بهذا المبدأ الإنساني الاجتماعي بين الأفراد، حيث يقول تبارك وتعالى: ﴿ وَالذِينَ اسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَأَمْرُهُمْ شُورى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [2]،وقد ترددت أقوال كثيرة حول هذا النص؛ فلقد جاءت لفظة الشورى بصيغة الخبرية أو الوصفية، وأن ذِكر الشورى جاء تالياً مباشرة لذكر الصلاة؛ فإن من صفات المؤمنين أنهم لا ينفردون برأي حتى يتشاوروا ويجتمعوا عليه، وكانوا قبل الهجرة وبعدها إذا حزنهم أمر اجتمعوا وتشاوروا، وأنه ما تشاور قوم قط إلاّ هدوا لأرشد أمورهم، فإن الشورى كما يقول ابن العربي:" ألفة للجماعة، ومسبار للعقول، وسبب إلى الصواب، وما تشاور قوم إلاّ هدوا"[3]. وذلك فإن " مدح الله المشاورة في الأمور بمدح القوم الذين كانوا يمتثلون ذلك. وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يشاور أصحابه في الآراء المتعلقة بمصالح الحروب، وذلك في الآراء كثير، ولم يكن يشاورهم في الأحكام؛ لأنها منزلة من عند الله على جميع الأقسام من الفرض والندب والمكروه والمباح والحرام"[4].

بالإضافة إلى قوله تعالى: ﴿ فَإِنَ اَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ﴾[5]، وهو دليل على جواز الاجتهاد في الأحكام بإباحة المولى عز وجل للوالدين التشاور فيما يؤدي إلى صلاح ابنهما قبل الفطام[6].

ومن الآيات الأخرى التي اشتملت على الشورى معنى لا لفظا قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الاَمْنِ أَوِ الخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلىَ الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الاَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾[7]، وقوله أيضا:﴿ وَاجْعَل لِّي وَزِيراً مِّنَ اَهْلِي، هَارُونَ أَخِي، اِشْدُدْ بِهِ أَزْرِي،

---

[1] – *الشورى في الإسلام، من موقع http://www.moqatel.com.*

[2] – *سورة الشورى، الآية 38.*

[3] – *ينظر الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 37/16.*

[4] – *ينظر المصدر والصفحة نفسهما.*

[5] – *سورة البقرة، الآية 233.*

[6] – *ينظر الجامع لأحكام القرآن، 172/3.*

[7] – *سورة النساء، الآية 83.*

وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴾[1]، وقوله: ﴿ قَالَتِ يَاأَيُّهَا المَلَأُ اَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً اَمْراً حَتَّى تَشْهَدُونِ ﴾[2]، وقوله أيضا: ﴿ يَاأَيُّهَا المَلَأُ اَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيا تَعْبُرُونَ ﴾[3]؛ هي آيات تضمنت معنى العمل بالشورى معنى لا لفظا، وهو ما نؤكده مرة أخرى على ضرورة العمل والأخذ بالشورى في حياتنا الاجتماعية، وفي تعاملاتنا اليومية.

ومن خلال إشارتنا لورود الفظ من حيث اللغة والاصطلاح، وروده لفظا ومعنى في آي القرآن الكريم، وما حملته هذه اللفظة من معنى تقليب الرأي وإظهاره أو استخراجه، كذا حمله لمعنى التشاور بين أفراد بغية الاحتكام إلى أمر واحد مفيد عن طريق النصح والتشاور، لأجل الانتقال من الضرر إلى النفع، والخروج من الظلمة إلى النور.

2- <u>الشورى عند الرسول ﷺ قولا وفعلا:</u>

وأما الشورى في الحديث النبوي الشريف، أو العمل بمبدأ الشورى عند رسولنا الأعظم سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، فإننا سنقف عندها بشيء من التفصيل مبرزين ما يتعلق بجانب ما صرّح به، وهو يتمثل في الجانب القولي، وما عمل بها أيضا؛ وهو ما يتمثل في الجانب العملي الفعلي.

ومن خلال ما مر بنا سابقا في آي القرآن؛ حين أمر المولى عز وجل رسوله الكريم ﷺ بالمشورة، فهذا ما يُنبئ على قيمة هذا المبدأ الذي يُعد من دعائم نظام الحكم في الإسلام، بل وفي العهد النبوبي على وجه التحديد، فكثيرا من القضايا التي كانت محل خلاف بين المسلمين آنذاك لم تُحل إلاّ بمشورة الرسول ﷺ، وأنه في حد ذاته كان يشاور أصحابه على الرغم من عصمته؛ فهو المربي والمعلم والقدوة الحسنة؛ لأن المجتمع الذي لا يوظّف مبدأ الشورى في أوساط أفراده هو مجتمع -لاشك- لا يمكنه أن يرتقي إلى مصف المجتمعات الإسلامية المتحضرة التي تُعنى في أولى أولوياتها الاستماع لرأي الآخرين باعتبارهم شُركاء في التفكير والعمل والمسؤولية.

ومن خلال ذلك، أود أن أقف عند الأنموذج الكامل المعصوم عن الخطأ، خاتم الأنبياء والمرسلين؛ سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، من خلال إبراز مواطن تجسديه لمبدأ الشورى، وهي ضوابط حريٌ بنا معرفتها والأخذ بها، وأبعاد دلالية تشمل الماضي والحاضر

---

[1] - *سورة طه، الآيات 29-32.*

[2] - *سورة النمل، الآية 32.*

[3] - *سورة يوسف، الآية 43.*

فالمستقبل؛ كيف لا وأن أقواله وأفعاله جاءت لتعلمنا أمور دنيانا وآخرتنا، ماضينا وحاضرنا فمستقبلنا؛ فأقواله وأفعاله –وبالضبط في مجال الشورى– هي مبادئ عالمية صالحة لكل زمان ومكان.

2-1- مبدأ الشورى عند الرسول ﷺ من خلال أقواله:

لقد وردت أحاديث نبوية كثيرة تدل صراحة على أهمية العمل بالشورى في حياتنا، وهذا ما يؤكد على حِرص سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم على هذا المبدأ وهو المعصوم، ومن أقواله نجد الآتي:

–يقول الرسول ﷺ: ((إن لي وزيرين في السماء وزيرين في الأرض ، أما اللذان في السماء فجبريل وميكائيل ، وأما اللذان في الأرض فأبو بكر وعمر))[1]؛ ومنه يفهم عدة مسائل منها ما أورده الرازي دلالة على أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يستشير جبريل وميكائيل وهما في السماء، ويستشير في الأرض أبا بكر وعمر رضي الله عنهما[2].

–ويقول الرسول ﷺ لأبي بكر وعمر: ((لو اجتمعتما في مشورة ما خالفتكما)) [3]؛ أي لشدة محبته لهما، ولشدة قربهما منه ولعلمه بحكمتهما وفطنتهما جعلهما في مكانة خاصة، يستشيرهما في أمور كثيرة، بل وأنه يأخذ برأيهما حتى لو خالفهما فيه جمهور الصحابة رضوان الله جميعا[4].

–وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال الرسول ﷺ: ((إِذَا كَانَ أُمَرَاؤُكُمْ خِيَارَكُمْ وَأَغْنِيَاؤُكُمْ سُمَحَاءَكُمْ وَأُمُورُكُمْ شُورَى بَيْنَكُمْ فَظَهْرُ الْأَرْضِ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ بَطْنِهَا وَإِذَا كَانَ أُمَرَاؤُكُمْ شِرَارَكُمْ وَأَغْنِيَاؤُكُمْ بُخَلَاءَكُمْ وَأُمُورُكُمْ إِلَى نِسَائِكُمْ فَبَطْنُ الْأَرْضِ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ ظَهْرِهَا))[5]؛ *فالحديث ينص على ضرورة الشورى والعمل بها، وهي من الأمور التي تدخل السعادة على الأفراد في حياتهم، وإذا كان العكس فمن الأحسن أن لا نعيش على وجه الأرض مادامت قد انعدمت فيها المساواة والشورى، فالنص قد "ورد في مقام سمات الأمير وصفاته، وهو كما نرى حالة ترغيبية توجيهية من الرسول الكريم للأمة من بعده"[6]؛ لأنه كما يقول ابن عطية: "الشورى من قواعد الشريعة*

---

[1] – *التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، 18/2.*

[2] – *ينظر المصدر والصفحة نفسهما.*

[3] – *الدر المنثور، جلال الدين السيوطي، 359/2، دار الفكر، بيروت، 1993.*

[4] – *ينظر مبادئ نظام الحكم في الإسلام، د.عبد الحميد متولي، ص37، ط1، دار المعارف، 1966، ومبدأ الشورى في الإسلام مع المقارنة بمبادئ الديمقراطية الغربية، د.يعقوب محمد المليجي، ص135، مؤسسة الثقافة الجامعية، ط2.*

[5] – *سنن الترمذي، 221/8، رقم الحديث 2192، باب ما جاء في النهي عن سب الرياح.*

[6] – *مفهوم الشورى في الإسلام، محمد خالد عمر، ص176.*

وعزائم الأحكام، ومن لا يستشير أهل العلم والدين فعزله واجب، وهذا مما لا خلاف فيه، والمستشارة في الدين عالم دين، وقلما يكون ذلك إلاّ في عاقل"[1].

-وعن علي بن أبي طالب رضي الله قال، قال رسول الله ﷺ: ((لَوْ كُنْتُ مُؤَمِّرًا أَحَدًا مِنْ غَيْرِ مَشُورَةٍ مِنْهُمْ لَأَمَّرْتُ عَلَيْهِمْ ابْنَ أُمِّ عَبْدٍ))[2]، وفي رواية أخرى: ((لَوْ كُنْتُ مُسْتَخْلِفًا أَحَدًا عَنْ غَيْرِ مَشُورَةٍ لَاسْتَخْلَفْتُ ابْنَ أُمِّ عَبْدٍ)) [3]؛ وهو ما يفهم أنه لا يجوز أن نُعيّن خليفة للمسلمين، أو يُستخلف بدون أن يؤخذ بمشورتهم وبرأيهم في هذا الأمر.

-وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ تَقَوَّلَ عَلَيَّ مَا لَمْ أَقُلْ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ وَمَنْ اسْتَشَارَهُ أَخُوهُ الْمُسْلِمُ فَأَشَارَ عَلَيْهِ بِغَيْرِ رُشْدٍ فَقَدْ خَانَهُ وَمَنْ أَفْتَى بِفُتْيَا غَيْرِ ثَبْتٍ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى مَنْ أَفْتَاه))[4]؛ وهذا يدل دلالة صريحة على ضرورة إجابة طالب المشورة إجابة صريحة تتضمن العمل بالخير والصلاح، وإذا كان العكس فهو خيانة له؛ لأنها ستلحق به الضرر باعتبار الطريق التي سيسلكها؛ لأنه كما يقول الرسول ﷺ: ((مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ))[5].

-عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال الرسول ﷺ: ((الْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ))[6]؛ لأنه غير المؤتمن الذي لا ثقة له لا يمكن أن يستشار، بل لا ينبغي حتى الالتفات إلى كلامه.

وكما يقول القرطبي نقلا عن بعض العلماء: " وصفة المستشار إن كان في الاحكام أن يكون عالما دينا، وقلما يكون ذلك إلاّ في عاقل...وصفة المستشار في أمور الدنيا أن يكون عاقلا مجربا وادا في المستشير"[7]؛ لأن من همّ بأمر يستحب "أن يشاور فيه من يثق بدينه وخبرته وحذقه ونصيحته وورعه وشفقته. ويستحب أن يشاور جماعة بالصفة المذكورة ويستكثر منهم، ويعرّفهم مقصوده من ذلك الأمر، ويبين لهم ما فيه مصلحة ومفسدة إن علم شيئا من

---

[1] – *الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار صلى الله عليه وسلم، (في الهامش الشرح)، محي الدين أبي زكريا الدمشقي الشافعي، ص288، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، 2003م.*

[2] – *سنن الترمذي، 288/12، رقم الحديث 3744، باب مناقب عبد الله بن مسعود.*

[3] – *سنن ابن ماجة، 156/1، رقم الحديث 134، باب فضل عبد الله بن مسعود.*

[4] – *مسند أحمد، 460/16، رقم الحديث 7918، باب مسند أبي هريرة رضي الله عنه.*

[5] – *سنن أبي داود، سليمان أبو داود الأزدي، 336/13، رقم الحديث 4464، باب الدال على على الخير، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر.*

[6] – *سنن أبي داود، 334/13، رقم الحديث 4463، باب في المشورة، وسنن ابن ماجة، 172/11-173، رقم الحديث 3735و3736، باب المشار مؤتمن، وسنن الترمذي، 373/8، رقم الحديث 2292، باب ما جاء في معيشة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وهامش جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، 283/8.*

[7] – *الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 205/4-251.*

ذلك، ويتأكد الأمر بالمشاورة في حقّ ولاّة الأمور العامة كالسلطان والقاضي ونحوهما...ثم فائدة المشاورة القبول من المستشار إذا كان بالصفة المذكورة، ولم تظهر المفسدة فيما أشار به، وعلى المستشار بذل الوسع في النصيحة وإعمال الفكر في ذلك"[1].

–وعن جابر رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: ((إِذَا اسْتَشَارَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُشِرْ عَلَيْهِ)) [2]؛ أي أن المشير يتوجب عليه أن يُشر بأحسن ما يظهر له في جميع الأمور، وأنه يجب علينا استشارة أهل العلم والدين والفضل، في طرق الخير سواء أكانت دينية أم دنيوية.

– وقال الرسول ﷺ: ((ما تشاور قوم قط إلاّ هدوا لأرشد أمرهم))[3]؛ أي لم يخرجوا في آخر الأمر إلاّ لخير رأي اجتمعوا عليه.

– وقال الرسول ﷺ: ((ما خاب من استخار، ولا ندم من استشار))[4]، وقال أيضا: ((أما إن الله ورسوله لغنيان عنها ولكن جعلها الله رحمة لأمتي فمن استشار منهم لم يعدم رشدا ومن تركها لم يعدم غيا))[5]؛ فهو وإن كان يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها، فكذلك الاستشارة، فالمرء لا يندم في طلبه –بلاشك– للاستشارة، خصوصا إذا كان قد طلبها من تقي عارف محب، ناصح وعاقل عالم، وهو المطلوب من ذلك.

– وقال الرسول ﷺ: ((ما شقي قط عبد بمشورة، وما سعد باستغناء رأي))[6]؛ أي قرن الأخذ والعمل بالمشورة من السعادة، وأن الابتعاد والاستغناء عنها والعمل بالرأي هو من الشقاء الذي سيلاقيه المرء.

– وقال الرسول ﷺ: ((من أراد أمرا فشار فيه وقضى، هدي لأرشد الأمور))[7]؛ وهي دلالات واضحة المعالم والأبعاد على أن العمل بالمشورة يصل بنا إلى أنجع الأمور وأحسنها.

– وقال الرسول ﷺ: ((شاوروا العلماء الصالحين، فإذا عزمتم على إمضاء ذلك فتوكلوا على الله))[8]، وقوله أيضا: ((شاور المتقين، الذين يؤثرون الآخرة على الدنيا، ويؤثرون على أنفسهم في أموركم))[9]؛ وهو ما أكدناه من قبل في أن الرسول ﷺ يرتضي طلب المشورة من أهل التقوى والعلم والدين والفضل؛ فهم الذين لا يكترثون لأمر الدنيا ولا لزينتها.

---

1 – الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار صلى الله عليه وسلم، ص288.

[2] – سنن ابن ماجة، 174/11، رقم الحديث 3737، باب المستشار مؤتمن.

[3] – التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، 445/4.

[4] – الدرر المنثور، جلال الدين السيوطي، 359/2.

[5] – المصدر والصفحة نفسهما.

[6] – الجامع لأحكام القرآن، 251/4.

[7] – الدرر المنثور، 357/7.

[8] – تفسير التستري، التستري، 92/1. من موقع http://islamport.com/w/tfs/Web/3/92.htm

[9] – المصدر والصفحة نفسهما.

– وقال الرسول ﷺ: ((من أراد أمرا فشاور فيه امرءا مسلما وفقه الله لأرشد أموره))[1]، وقال أيضا: ((إذا أشار عليك العاقل الناصح فاقبل، وإياك والخلاف عليهم، فإن فيه الهلاك)) [2].

– وقال الرسول ﷺ: ((من استشير فأشار بغير رأيه سلبه تعالى رأيه))[3]؛ أي غشه، وتلك هي مصيبة، خصوصا وأن طالب المشورة واضع الثقة في صاحبه، ولكن الأخير إذا أجاب بغير الحق وهو يعلم ذلك، عاقبه المولى عز وجل بنزع تلك الصفة التي عُرف بها حتى يصبح لا رأي له. ومنه حديث آخر يندرج ضمن هذا السياق في قوله ﷺ: ((من استشاره أخوه المؤمن فلم يمحضه النصيحة سلبه الله لبه))؛ وهذا لأجل توافر الصدق والإخلاص قصد تحقيق المبتغى منها.

– وقال الرسول ﷺ ((ما من قوم كانت لهم مشورة فحضر معهم من اسمه أحمد أو محمد فأدخلوه في مشورتهم إلاّ خير لهم)) [4]؛ وهو تحبيب وتبرُّك بأسماء الرسول صلى الله عليه وسلم.

– وقال الرسول ﷺ: ((من شاور واتكل في إمضاء ما عزم ثم ندم فقد اتهم الله تعالى)) [5]؛ أي أن الرسول ﷺ ينبهنا وينهينا بعدم الندم بعد عملنا بالمشورة.

– وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: ((الْبِكْرُ تُسْتَأْمَرُ وَالثَّيِّبُ تُشَاوَرُ قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ الْبِكْرَ تَسْتَحِي قَالَ سُكُوتُهَا رِضَاهَا)) [6]؛ فالرسول ﷺ يعلمنا في الأخذ برأي البنت أثناء طلبها للزواج، وهو إكرام لحقوق المرأة بصورة عامة.

هذه جملة من الأحاديث النبوية الشريفة التي دعت إلى الأخذ والعمل بالشورى التي قررها الرسول ﷺ، فهي منهاج الإنسانية ودستورها، وبها تقوم الحضارات على مر العصور؛ فكيف لا وهو المعلم والمربي والقدوة لنا.

فهذا عن مبدأ الشورى عند الرسول ﷺ من خلال أقواله، وبالتالي فيم تتجلى الشورى عنده عمليا وفعليا؟ .

2-2- <u>مبدأ الشورى عند الرسول ﷺ من خلال أفعاله</u>:

ومن خلال ما وجدناه من أقوال للرسول ﷺ التي صبّت في قالب واحد، وهو مبدأ الأخذ والعمل بالشورى، فإننا وجدنا كذلك هذا المبدأ مجسداً في السّنة الفعلية بالإضافة إلى السّنة القولية، وأن السنة الفعلية أو العملية تدل على أن الرسول ﷺ كان دائم التشاور مع أصحابه

---

[1] – *المعجم الأوسط، الطبراني، 146/18، رقم الحديث 8568.*

[2] – *بحار الأنوار، 105/72.*

[3] – *تفسير التستري، 92/1 .*

[4] – *الجامع لأحكام القرآن، 251/4.*

[5] – *تفسير التستري، 92/1 .*

[6] – *مسند أحمد، 375/14، رقم الحديث6834.*

خصوصاً لما عرفنا من قبل في السّنة القولية؛ لأنه لا يحبّذ التفرد بالرأي، وهو ما نلاحظه في تشاوره مع الصحابة رضوان الله عليهم، ولكن نجده في الكثير من المرات يأخذ برأيهم، ومرات أخرى يشاورهم ولكن يخالف ما يذهبون إليه لحكمة في ما ذهب إليه.

ولذلك حاولنا الوقوف على مبدأ الشورى الفعلي العملي عنده من خلال عدة نماذج مست جانبين؛ جانب تجسد في الحروب والغزوات ومشاورته للصحابة رضوان الله عليهم، والآخر لا صلة له بالحروب، ولكن يرتبط أساسا بشؤون بيته. ومن تلك النماذج نجد الآتي:

أ-<u>مبدأ الشورى الفعلي من خلال الغزوات والحروب</u>:

ومن ذلك نجد:

<u>أ-1-غزوة بدر</u>: وهي التي نلحظ فيها دروسا وعبرا ملتصقة أساسا بالشورى، وهو ما سماه الشيخ صفي الرحمن المباركفوري بـ"المجلس الاستشاري"، ونظرا للوضع الخطير المفاجئ عقد الرسول ﷺ مجلسا استشاريا عسكريا أعلى، أشار فيه إلى الوضع الراهن، وتبادل فيه الرأي مع عامة جيشه وقادته، وحينئذ تزعزع قلوب فريق من الناس، وخافوا اللقاء الدامي، وهم الذين قال الله فيهم: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾[1] ، وأما قادة الجيش فقام أبو بكر الصديق فقال وأحسن، ثم قام عمر بن الخطاب فقال وأحسن، ثم قام المقداد بن عمرو فقال: يا رسول الله، امض لما أراك الله، فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [2]، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى بَرْك الغِمَاد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه. فقال رسول الله ﷺ خيرًا ودعا له به.

وهؤلاء القادة الثلاثة كانوا من المهاجرين، وهم أقلية في الجيش، فأحب رسول الله ﷺ أن يعرف رأي قادة الأنصار؛ لأنهم كانوا يمثلون أغلبية الجيش، ولأن ثقل المعركة سيدور على كواهلهم، مع أن نصوص العقبة لم تكن تلزمهم بالقتال خارج ديارهم، فقال بعد سماع كلام هؤلاء القادة الثلاثة: (أشيروا عليّ أيها الناس) وإنما يريد الأنصار، وفطن إلى ذلك قائد الأنصار وحامل لوائهم سعد بن معاذ.
فقال: والله، ولكأنك تريدنا يا رسول الله؟قال: (أجل). قال: فقد آمنا بك، فصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا

[1] - *سورة الأنفال، الآيتان 5-6.*

[2] - *سورة المائدة، الآية 24.*

رسول الله لما أردت، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدًا، إنا لصُبُر في الحرب، صُدَّق في اللقاء، ولعل الله يريك منا ما تَقَرَّ به عينك، فسِرْ بنا على بركة الله. وفي رواية أن سعد بن معاذ قال لرسول الله ﷺ: لعلك تخشى أن تكون الأنصار ترى حقًا عليها ألا تنصرك إلا في ديارهم، وإني أقول عن الأنصار وأجيب عنهم: فاظعن حيث شئت، وصِلْ حَبْل من شئت، واقطع حبل من شئت، وخذ من أموالنا ما شئت، وأعطنا ما شئت، وما أخذت منا كان أحب إلينا مما تركت، وما أمرت فيه من أمر فأمرنا تبع لأمرك، فهو الله لئن سرت حتى تبلغ البرك من غِمْدان لنسيرن معك، ووالله لئن استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك. فَسُرَّ رسول الله ﷺ بقول سعد، ونشطه ذلك، ثم قال: ((سيروا وأبشروا، فإن الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم))[1].

ومنه أيضا ما هو مرتبط بهذه الغزوة هو استشارته ﷺ لأصحابه في اختيار المكان الذي سينزل فيه المسلمون، فقال له أحد الصحابة وهو الحباب بن المنذر –رضي الله عنه– يا رسول الله هذا المنزل الذي نزلته منزل أنزلك الله إيّاه، فليس لنا أن نجاوزه، أو منزل أنزلته للحرب والمكيدة؟ فقال: بل منزل نزلته للحرب والمكيدة، فقال: يا رسول الله، ليس بمنزل، ولك سِر بِنا حتى ننزل على أدنى ماء يلي القوم ونغور ما وراءه من القلب ونسقي الحياض، فيكون لنا ماء وليس لهم ماء، فقال له الرسول ﷺ: "لقد أشرت بالرأي"، وسار بالجيش إلى المكان المشار إليه[2].

ومن القضايا الأخرى التي مست غزوة بدر ولها صلة بمبدأ الشورى ما نجده في حادثة السرى، ومشاورته صلى الله عليه وسلم لأصحابه بخصوص هذا الأمر، فأشار أبو بكر –رضي الله عنه– بأخذ الفدية، وأما عمر بن الخطاب فأشار على الرسول صلى الله عليه وسلم بضرب بأعناقهم، فأخذ الرسول ﷺ برأي أبي بكر، ولكن المولى عز وجل عاتب نبيه على الأخذ بهذا الأمر، وهو ما يوضحه المباركفوري: " ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة استشار أصحابه في الأسارى، فقال أبو بكر: يا رسول الله، هؤلاء بنو العم والعَشِيرة والإخوان، وإني أرى أن تأخذ منهم الفدية، فيكون ما أخذناه قوة لنا على الكفار، وعسى أن يهديهم الله، فيكونوا لنا عضدًا.

فقال رسول الله ﷺ: ((ما ترى يابن الخطاب؟)) قال: قلت: والله ما أرى ما رأى أبو بكر، ولكن أرى أن تمكنني من فلان . قريب لعمر . فأضرب عنقه، وتمكن عليًا من عَقِيل بن أبي طالب فيضرب عنقه، وتمكن حمزة من فلان أخيه فيضرب عنقه، حتى يعلم الله أنه ليست

[1] – الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري، ص193–194، دار الوفاء، المنصورة، مصر، 1424هـ–2003م.

[2] – *المصدر نفسه، ص195–196.*

في قلوبنا هوادة للمشركين. وهؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم. فهوى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال أبو بكر، ولم يهو ما قلت، وأخذ منهم الفداء: فلما كان من الغد قال عمر: فغدوت إلى النبي ﷺ وأبي بكر وهما يبكيان، فقلت: يا رسول الله، أخبرني ماذا يبكيك أنت وصاحبك؟ فإن وجدت بكاء بكيت، وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما، فقال رسول الله ﷺ : ((أبكى للذي عرض على أصحابك من أخذهم الفداء، فقد عرض علىّ عذابهم أدنى من هذه الشجرة)) . شجرة قريبة[1].

وأنزل الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ لَّوْلاَ كِتَابٌ مِّنَ اللهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [2].

أ-2-غزوة أحد: وأما في غزوة أحد، فهو ما نلحظه من أبعاد جلية في مشورته ﷺ لأصحابه في هذه الغزوة، وهنا تبرز الشورى في أبعد دلالاتها حين شاورهم في أمر الخروج لملاقاة الأعداء، وكان رأي الأغلبية يُصر على الخروج وعدم البقاء في المدينة، وهو الأمر الذي أخذ به الرسول ﷺ على الرغم من أن رأيه كان يتمثل في الخروج للقتال والبقاء في المدينة للدفاع عنها، وذلك لما عقد مجلساً استشارياً عسكرياً أعلى ، تبادل فيه الرأي لاختيار الموقف، وأخبرهم عن رؤيا رآها، قال: ((إنّي قد رأيتُ بقرًا فأوّلتها خيرًا، ورأيت في ذباب سيفي ثَلْمًا، ورأيت أنّي أدخلت يدي في درع حصينة)) [3]، وتأوّل البقر بنفر من أصحابه يقتلون، وتأول الثلمة في سيفه برجل يصاب من أهل بيته، وتأول الدرع بالمدينة.

ثم قدم رأيه إلى صحابته ألا يخرجوا من المدينة وأن يتحصنوا بها، فإن أقام المشركون بمعسكرهم أقاموا بِشَرٍّ مُقَام وبغير جدوي، وإن دخلوا المدينة قاتلهم المسلمون على أفواه الأزقة، والنساء من فوق البيوت، وكان هذا هو الرأي. ووافقه على هذا الرأي عبد الله بن أبي بن سلول . رأس المنافقين . وكان قد حضر المجلس بصفته أحد زعماء الخزرج. ويبدو أن موافقته لهذا الرأي لم تكن لأجل أن هذا هو الموقف الصحيح من حيث الوجهة العسكرية، بل ليتمكن من التباعد عن القتال دون أن يعلم بذلك أحد، وشاء الله أن يفتضح هو وأصحابه . لأول مرة . أمام المسلمين وينكشف عنهم الغطاء الذي كان كفرهم ونفاقهم يكمن وراءه، ويتعرف المسلمون في أحرج ساعاتهم على تلك الأفاعي التي كانت تتحرك تحت ملابسهم وأكمامهم.

---

[1] – *الرحيق المختوم، ص210، وينظر تاريخ عمر بن الخطاب، ابن الجوزي، ص36، مطبعة التوفيق الأدبية، مصر.*

[2] – *سورة الأنفال، الآيتان 67-68.*

[3] – *جامع البيان، الطبري، 163/7.*

فقد بادر جماعة من فضلاء الصحابة ممن فاته الخروج يوم بدر ومن غيرهم، فأشاروا على النبي ﷺ بالخروج، وألحوا عليه في ذلك حتى قال قائلهم: يا رسول الله، كنا نتمنى هذا اليوم وندعو الله، فقد ساقه إلينا وقرب المسير، اخرج إلى أعدائنا، لا يرون أنا جَبُنَّا عنهم.

وكان في مقدمة هؤلاء المتحمسين حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم . الذي كان قد أبلي أحسن بلاء في معركة بدر . فقد قال للنبي ﷺ: والذي أنزل عليك الكتاب لا أطعم طعاماً حتى أجالدهم بسيفي خارج المدينة .

وتنازل رسول الله ﷺ عن رأيه مراعاة لهؤلاء المتحمسين، واستقر الرأي على الخروج من المدينة، واللقاء في الميدان السافر[1].

أ-3-غزوة الأحزاب: ومناه ما تمثل في مشورة الرسول ﷺ لأصحابه -رضوان الله عليهم- بخصوص الحرب، فسارع إلى عقد مجلس استشاري أعلى تناول فيه موضوع خطة الدفاع عن كيان المدينة، وبعد مناقشات تم الاتفاق على الأخذ بالرأي الذي تقدم به سلمان الفارسي -رضي الله عنه-؛ وهو أمر يتمثل في حفر خندق يحول بين المدينة والعدو، فقال سلمان الفارسي يا رسول الله: إنا كنا بأرض فارس إذا حوصرنا خَنْدَقْنَا علينا، وكانت خطة حكيمة لم تعرفها العرب من قبل[2].

ومن ذلك -أيضا- ما نجده في استشارته ﷺ للصحابيين الجليلين؛ سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة، وهما سيدا الأوس والخزرج، والعمل برأيهما بعد إنْ اشتد على الناس البلاء، ودار جدال بين الرسول ﷺ ورؤساء غطفان، يقول لمباركفوري: "أما رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقنع بثوبه حين أتاه غَدْر قريظة، فاضطجع ومكث طويلاً حتى اشتد على الناس البلاء، ثم نهض مبشراً يقول: ((الله أكبر، أبشروا يا معشر المسلمين بفتح الله ونصره))، ثم أخذ يخطط لمجابهة الظرف الراهن، وكجزء من هذه الخطة كان يبعث الحرس إلى المدينة؛ لئلا يؤتي الذراري والنساء على غرة، ولكن كان لابد من إقدام حاسم، يفضي إلى تخاذل الأحزاب، وتحقيقاً لهذا الهدف أراد أن يصالح عُيينَة بن حصن والحارث بن عوف رئيسي غطفان على ثلث ثمار المدينة، حتى ينصرفا بقومهما، ويخلو المسلمون لإلحاق الهزيمة الساحقة العاجلة بقريش التي اختبروا مدي قوتها وبأسها مراراً، وجرت المراودة على ذلك، فاستشار السعدين في ذلك، فقالا: يا رسول الله، إن كان الله أمرك بهذا فسمعاً وطاعة، وإن كان شيء تصنعه لنا فلا حاجة لنا فيه،

---

[1] - *الرحيق المختوم، والسيرة النبوية*، ابن هشام، 63/3، حققها وضبطه مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي، باب مشاورة الرسول *القوم في الخروج أو البقاء، ص227.*

[2] - *ينظر الرحيق المختوم، ص269.*

لقد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة إلا قِرًي أو بيعاً، فحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك نعطيهم أموالنا ؟ والله لا نعطيهم إلا السيف، فَصَوَّبَ رأيهما وقال: ((إنما هو شيء أصنعه لكم لما رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة)) "[1].

ومن خلال ما سبق، يتبين أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يشاور أصحابه في الحروب، وممن له ثقة كبيرة بهم، بالإضافة إلى أن الشورى كانت تقع في الأمور الاجتهادية التي لم يرد فيها نص شرعي.

ب- <u>مبدأ الشورى الفعلي في أمور خاصة ببيته</u>:

ومن الأمور التي تجسدت فيها مبادئ الشورى وأبعادها تجسيدا بليغاً بعيدا عن قضايا الحروب والغزوات، وبالضبط في أسرته ﷺ الشريفة ما نجده في حادثة الإفك، وكيف تجلّت لنا صور تعاملاته مع من آذاه في عرضه الشريف، وبالضبط في زوجته عائشة -رضي الله عنها- ، وأنه استشار أصحابه في فراقها حين أبطأ عليه الوحي بخصوص هذا الأمر، فأشار عليه علي -رضي الله عنه- أن يفارقها ويأخذ غيرها تلويحا لا تصريحا، وأشار عليه أسامة وغيره بإمساكها وألاّ يلتفت إلى كلام الأعداء، ليأخذ في آخر المطاف بالرأي الذي يرضى ببقاء عائشة -رضي الله عنها- في عصمته، وذلك بعد نزول الوحي[2]، فكانت أول كلمة تكلّم بها: ((ياعائشة، أما الله فقد برأك))[3].

ومن الصور الجلية التي تمت في مشاورته لزوجته أم سلمة في شأن أمره لأصحابه بالنحر والحلق بعد الفراغ من صلح الحديبية، وأنهم لم يمتثلوا إلى هذا الأمر، فما قام منهم أحد حتى قالها ثلاث مرات بقوله: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ انْحَرُوا وَاحْلِقُوا)) [4]، فقالت له أم سلمة: يا رسول الله، أتحب ذلك؟ اخرج، ثم لا تكلم أحدا كلمة حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقَك فيحلقك، فقام فخرج فلم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك، نحر بُدْنَه، ودعا حالقه فحلقه، فلما رأى الصحابة رضوان الله عليهم ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضا[5].

---

[1] - *الرحيق المختوم، ص 275.*

[2] - *الرحيق المختوم، 290-291.*

[3] - *صحيح البخاري، 44/13 ، رقم الحديث 3826، باب حديث الإفك.*

[4] - *مسند أحمد، 377/38، رقم الحديث 18152، باب حدي المسور بن مخرمة الزهري ومروان بن الحكم.*

[5] - *ينظر تاريخ الطبري، أبو جعفر الطبري، 80/3، مكتبة الأسدي بطهران، إيران، ومبدأ الشورى في الإسلام، ص136.*

ومنه –أيضا– ما أشار إليه ابن هشام في مشاورته ﷺ لأعمامه في زواجه من خديجة رضي الله عنها، حيث يقول:" فلما قالت ذلك لرسول الله ﷺ ذكر ذلك لأعمامه، فخرج معه عمه حمزة بن عبد المطلب –رحمه الله– حتى دخل على خويلد بن أسد فخطبها إليه، فتزوجها"[1].

ومما يثبت أن الرسول صلى الله عليه وسلم وظّف مبدأ الشورى قولا وفعلا، وأن الإجابة التي قدمتها أم سلمة كانت إجابة مباركة، وهي ذات رأي سديد؛ فقد كانت حلاً للغز الدائر في أذهان الصحابة –رضوان الله عليهم– في عدم استجابتهم لرأيه ﷺ.

خاتمة:

ومما يمكننا الخروج به من هذا البحث الآتي:

–إنّ الرسول ﷺ القدوة الحسنة، المربي والمعلم، والموظف لمفهوم مبدأ الشورى قولا وفعلا، وبكل ما يحمله هذا المبدأ من معنى.

–إن مبدأ الشورى عند الرسول ﷺ يحتكم إلى ضوابط وأبعاد نستخلصها ونتعلمها؛ فالضوابط تتمثل في عدم اللجوء إلى الشورى عند وجد نص شرعي؛ فلا اجتهاد مع نص، والأبعاد تتمثل في عدم استغنائنا عن هذا المبدأ في حياتنا؛ فالأمة التي لا تحقق مبدأ الشورى فهي لا تستطيع أن تلتحق بركب الحضارات المتقدمة الراقية.

–إن الصورة التي تجلّت في شخصه ﷺ في العمل بمبدأ الشورى تستوجب منّا القول إنه السلطة العليا في تعامله مع الصحابة رضوان الله عليهم جميعا لأجل العودة إليه دائما بخصوص الفصل في الأمور المختلف فيها، وكذلك اختص بالسلطة القضائية، وكذلك اختص بالسلطة التشريعية، وبالتالي الوصول إل السلطة التنفيذية.

–لقد خصّ الرسول ﷺ أهل الشورى في عهده أفرادا يتمتعون بالبصيرة وأهل الرأي؛ فكانا من مستشاريه في الصدارة أبا بكر وعمر رضي الله عنهما.

–إن الشورى في السّنة القولية الشريفة جاءت لتؤكد على أهمية الأخذ والعمل بهذا المبدأ، بينما الشورى في السّنة الفعلية العملية تجسّدت في استشارة النبي محمد صلى الله عليه وسلم لأصحابه في جوانب مختلفة، وفي أمور متعلقة بقضايا الحروب والغزوات؛ كالصلح، وقضية الأسرى، بل يتعدى هذا الأمر ليضل إلى استشارته صلى الله عليه وسلم لأصحابه فيما يتعلق بأمر بيته؛ كحادثة الإفك، واستشارته ﷺ لزوجته أم سلمة في قضية عدم امتثال أصحابه لأمره

[1] – *السيرة النبوية، ابن هشام، 215/1، علق عليها محمد عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1410هـ–1990م.*

بخصوص الحلق والنحر؛ فهو المربي والمعلم والقدوة الحسنة لنا، فنا أن نسير وَفق منهجه في الأخذ بهذا المبدأ قولا وفعلا.

ونصلي ونسلم على سيدنا محمد الرحمة المهداة؛ صلاة وسلاما دائمين متلازمين إلى يوم الدين ومن الله التوفيق وهو يهدي السبيل.

المصادر والمراجع:

*القرآن الكريم، برواية الإمام ورش عن الإمام نافع.

- إشكالية العلاقة بين الشورى والديمقراطية في الفكر الإسلامي المعاصر –دراسة مفاهيمية، د.خالد محمد صافي ود.أيمن طلال يوسف، مجلة جامعة الأقصى، سلسلة العلوم الإنسانية، المجلد الثالث عشر، العدد الأول، يناير 2009.
- الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار صلى الله عليه وسلم، محي الدين أبي زكريا الدمشقي الشافعي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، 2003م.
- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، السعودية، ط1، 1420هـ-2000م.
- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق : أحمد عبد العليم البردوني، دار الشعب، القاهرة، ط2، 1372هـ.
- الدر المنثور، جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت، 1993.
- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط1.
- مبادئ نظام الحكم في الإسلام، د.عبد الحميد متولي، ط1، دار المعارف، 1966.
- مبدأ الشورى في الإسلام مع المقارنة بمبادئ الديمقراطية الغربية، د.يعقوب محمد المليجي، مؤسسة الثقافة الجامعية، ط2.
- مناهج الشريعة الإسلامية، الشيخ أحمد محيي الدين العجوز، مكتبة المعارف – بيروت 1401هـ 1981م.
- مفهوم الشورى في الإسلام، محمد خالد عمر، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق ، العدد 108، السنة السابعة والعشرون، ذو الحجة 1428هـ ،كانون الأول 2008م.
- مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، دار القلم، دمشق.
- مسند أحمد، أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة، مصر.
- المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القار عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411هـ-1990م.
- النظام السياسي في الإسلام, د.محمد عبد القادر أبو فارس، طبعة دار الفرقان، عمان، الأردن، 1986.
- النظم السياسية الإسلامية، دحسن إبرهيم حسن ود.علي إبراهيم حسن، ط4، 1970.
- صحيح البخاري، أبو عبد الله البخاري، تحقيق د.محمد ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط3، 1407هـ-1987م.
- الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري، ص19دار الوفاء، المنصورة، مصر، 1424هـ-2003م.

- السيرة النبوية، ابن هشام، حققها وضبطه مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي، باب مشاورة الرسول القوم في الخروج أو البقاء.
- السيرة النبوية، ابن هشام، علق عليها محمد عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1410هـ-1990م. - سنن أبي داود، سليمان أبو داود الأزدي، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر.
- سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- تاريخ الطبري، أبو جعفر الطبري، مكتبة الأسدي بطهران، إيران.
- تاريخ عمر بن الخطاب، ابن الجوزي، ص36، مطبعة التوفيق الأدبية، مصر.
- التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ..
- الشورى في الشريعة الإسلامية-دراسة مقارنة بالديمقراطية والنظم القانونية، القاضي الحسين بن محمد المهدي، دار الثقافة، 2006.